رانيا فؤاد

الأموات/ الأحياء

أجد نفسي أسير وسط زحام من الناس لم أعد أعرف حقا من أنا، أو ما الذي أتى بي إلى هنا، أصبحت ذاكرتي محض أوهام، أسير بينهم كالميت الحي.

فى البداية كان هناك اختلاف بيننا، ولكن بمرور الوقت بدأنا نشبه بعضنا البعض.

يتحول في كل لحظة أحد منا ليرتدي عباءة سوداء تغطيه من رأسه حتى أخمص قدميه عدا ثقب صغير يظهر منه العينين، إنها مراحل بدأت أعتاد على رؤيتها هنا وسط الزحام.

نسير جميعًا في نفس الاتجاه ولا ندري إلى أين!

شيئا فشيئا أجد أن الكثيرين من حولي قد ارتدوا العباءة ولا أرى بعدها من يخلعها.

أشعر بالضياع في وسط الزحام، أرغب في رؤية أحدٍ أعرفه حتى ولو من خلال ذلك الثقب، فأنا أشعر بالوحدة هنا كحالنا جميعا. لا أدري كم مضى من الوقت والناس التي بدت في البداية مختلفة تتلاشى وتذوب وسط الزحام، أين تذهب يا تُرى؟

ظللت أسير حتى تحول النهار في أول الطريق إلى عتمة ظلام ليل دامس، والرؤية تزداد سوءًا.

في البداية كنت أقف أتأمل حولي، لكن الأمر قل كلما مر الوقت. شيئًا فشيئًا أتلاشى من شكلي المختلف وأتحول لشبح شفاف حتى

أصبح من السواد الأعظم - أصحاب العباءة - حتى رأيت عينين أشعر أني أعرف صاحبهما دون أن أتذكر لقاءنا، حاولت اختراق الزحام لأصل لصاحبهما وأنا أصيح: يا سيد انتظر، هل أنت تعرفني؟ توقف إذا سمحت.

لم يكن الوصول إليه سهلاً، تحملت ضربات وسقطت عدة مرات، وما إن وصلت حتى توقف كل شيء، توقف الناس عن الحركة لا تسمع أي شيء سوى السكون، حتى الزمان توقف.

اقتربت أكثر لأنزع الغطاء من على وجهه، وما إن رأيته حتى شعرت بقلبي كأنه يسقط من مكان مرتفع.

إنه أنا لا أصدق ولكني فعلت، فهذا هو الشبيه الذي بدأ يظهر عندما بدأت أنساب مع التيار، وتسلل الاختلاف مني ليظهر كياني الجديد ذي العباءة.

أخذ كل شيء يتضح وسط غليان مزيج مشاعر الحيرة، الرفض، الوحدة وعدم الانتماء، ألم الخيانة – خاصة خيانة نفسي - والخضوع للوهم.

عندها رأيت تلك السلاسل الصدئة التي تربطنا معًا كعبيد وتذكرت أنني خلال حياتي كنت أصحو من حين لآخر أحيانًا أسير مع التيار وأحيانًا أخرى عكسه، ولكن في كل مرة أنسى نفسي أكثر فأكثر عندما أتوقف عن أن أكون نفسي.

كسرت السلسلة التي تقيدني وتوحدت مع هذا الكيان في هيئة واحدة تملؤها الجروح والندوب، تحمل بقايا من اختلافي الفطري الذي خلقت به ومن أجله.

لقد عاد قلبي ينبض لبداية خروجي من حالة الجمع (الأموات الأحياء)

فيا ترى هل سأتبع طريقي الخاص أم سأعود للسواد الأعظم لأصبح من الأموات الأحياء؟